ومن عرف شدة النقمة اثمرت معرفته شدة الخوف واثمر خوفه الكف عن الفسوق
والعصيان مع البكا والاحزان والورع والاذعان ومن عرف ان جميع النعم منه احبه واثمرة المحبة
اثارها ومن عرف تفرده بالنفع والضر لم يعتمد الا عليه ومن عرف عظمته عامله بالتعظيم والا
نقياد ولا شك ان معرفة الاحكام لا تؤثر شيا من ذلك ويدلك على هذا الوقوع بان الفسوق
فاش في كثير من العلما من الاحكام بل اشتغل كثير منهم باقوال الفلاسفة فمنهم من خرج عن الدين
ومنهم من شك فهم في ريبهم يترددون والفرق بين المتكلمين والعارفين ان المتكلم تغيب عنه
علومه بالذات والصفات في اكثر الاوقات فلا تدوم له تلك الاحوال ولو دامت لكان من
العارفين لانه شاركهم في العرفان الموجب للاستقامة وكيف يسوا بين العارفين والفقها
والعارفون افضل الخلق واتقاهم له وهو تعالى يقول ان اكرمكم عند الله اتقاكم واما قوله انما يخشى
الله من عباده العلما فالمراد به العارفون بالله وصفاته وافعاله ولا يحمل ذلك على الفقها
لان الغالب عليهم عدم الخشية وروي هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما واذا استوى الناس
في المعارف فلا فضل لبعضهم على بعض الا بتوالي العرفان واستمراره اذ متى غابت عن القلب
غابت الاحوال الناشية عن المعارف ففسد القلب بذلك وفسدت بفساده الاقوال والافعال
وما سبقكم ابو بكر بصوم ولا صلاة ولكن بشي وقر في صدره ولما قال الله تعالى الم تر ان الله انزل من السما
ماء وعدد ايات الله واعلام قدرته واثار صنعته وما يستدل به عليه وعلى صفاته اتبع ذلك انما
يخشى الله من عباده العلما قيل كانه قال لنبيه صلى الله عليه وسلم انما يخشاه مثلك ومن
على صفتك ممن عرفه وعلم كنه علمه فالعلماء هم الذين علموا الله تعالى بصفاته وما يستحيل عليه
وما يجوز فعظموه وقدروه حق قدره وخشوه حق خشيته ومن ازداد به علما ازداد
منه خوفا وفي الحديث اعلمكم بالله اشدكم له خشية وقدم اسم الله تعالى في الاية على العلما
لان المعنى ان الذين يخشون الله من عباده العلما دون غيرهم وركب بعضهم من هذا ومن قوله
تعالى اوليك هم خير البرية الى لمن خشي ربه قياسا من مقدمتين ونتيجة المقدمة الاولى خير البرية

من يخشى الله

مطلب

من يخشى الله والثانية والذين يخشون الله هم العلما بالله نتج خير البرية هم العلما
بالله وهو استنباط حسن صحيح واستيفا الادلة في ذلك يطول ولا خفا ان القادح في هذا
العلم قادح في الكتاب والسنة وما اجتمعت عليه الامة لكن من اعمى الله بصيرته فلن تملك
له من الله شيا قال الشيخ ابو القاسم عبد الجليل في عقيدته اعلم ان كثيرا من الناس
لا يشتغلون الا بعلم النحو والحساب واصلاح اللفظ واجادة الكتاب لما يرجون من كون
ذلك لهم بضاعة وحرفة يعولون عليها وصناعة فتراهم يجرون اذيالهم من خيلايهم
وينهبون متعاظمين في غلواتهم يلحظون الناس بعين الاحتقار ويرمقونهم بمقلة
الاستصغار فاذا قيل لهم ما اول الواجبات ومتى يجب التكليف على الانسان وما الدليل
على صحة ما اليه تذهب وفساد ما عنه ترغب بقي اسكت من سمكه واشد وجلا من طير
في شبكه وصغر من همته ما كان كبيرا وذل من نفسه ما كان عزيزا خطيرا ولبس ثوب
استكانة وتسربل بسربال مهانة فيا لها من مصيبة ما اعظمها عليه وداهية
ما اكبرها لديه انتهى قلت وليته لو كان حد المصيبة ما ناله في دنياه كيف سوال
منكر ونكير في القبر عن التوحيد امامه واهوال الاخرة التي لا ينجو منها الا من انعم الله
عليه الا بحسن المعرفة بانه التي هي بالمرصاد لكل احد وعندها يمتاز الخبيث من الطيب
وتنكشف سراير الجهالات في اصول العقايد ويحصل المفرط في ذلك اليوم الندامة التي نزع
اسبابها في هذه من اعراضه عن النظر في علم التوحيد واشتغاله بما لا يعنيه
وتتقطع حينيذ حسرات ولا ينفعه ذلك وقال ابن رحال في شرح البغوي في فضل
معرفة الادلة وحسن النظر فيها اعلم انه قطب الدين وعبادة الانبيا والمرسلين والايمة
الراشدين وساير علما المسلمين عليها درج السلف وتبعهم على ذلك الخلق فما انقرض الفحول
وهلكت الصدور وخلف من بعدهم اخلاق استوعروا طريقهم واستصعبوا
سبيلهم واناخوا بفنا المراحات وركبوا مراكب الجهالات واستوطنوا رذيلة التقليد

البغوي

Copyright © King Saud University